Journal of Translation and Languages مجلة الترجمة واللغات
ISSN : 1112-3974

اللغة بين اصطلاح اللفظ ووظيفة المفهوم

مطهري أحمد
جامعة وهران-الجزائر
a_metahri@yahoo.fr

Keywords :

Language, Communication, Expression, Transmission, Cultural pattern

Abstract

Social life can be achieved only through collective living and by sharing rights and duties, and this can only be done through communication. Language plays a role in conveying concepts and bringing them closer to human beings. This is the process of communication among them. The study of language in terms of a distinct reality has gone in two directions; the first is the study of language as a structure of phonetic, syntactic, and semantic units. The second is the study of language as a means of expression and communication, as Ibn Jenni has demonstrated. This work investigates both angles and concludes that the linguistic model lies in its relationship with the culture of societies, and that can be reflected in customs, traditions and lifestyles. It is the material carrier of the cultural pattern of a particular human group, which makes the division and distribution of concepts in a culture different from other languages. Thus, language is the important basis in the making of cultures, their transmission through ages and different environments.

Man thinks through language, and expresses his desires and ambitions which are concretized though language. To conclude the discussion on language between terminology and the essence of the concept, we can say that the linguistic model lies in its relationship with the understanding of the culture of different societies, which is manifested through customs, norms, traditions, and lifestyles. Moreover, the linguistic model is the symbol of the cultural pattern of a particular human group, which makes the segmentation of concepts and their distribution within different cultures differ from one language to another. Accordingly, language is the important basis for making cultures and transferring them from one era to another, and from one environment to another.

الملخص

إنّ الحياة الاجتماعية لا تتم إلا عن طريق العيش الجماعي والاشتراك في الحقوق والواجبات، وهذا لا يتم إلا بوسيلة التخاطب؛ وهي اللغة، والشيء الذي يعيننا على فهم طبيعة اللغة وجوهرها حق الفهم، هو الدور الذي تقوم به في إيصال المفاهيم وتقريبها بين بني البشر ويكمن ذلك في عملية التواصل بينهم، ولقد اتجهت دراسة اللغة من حيث هي واقع قائم بذاته اتجاهين اثنين؛ الأول دراسة اللغة كبنية من الوحدات الصوتية والصرفية والدلالية، والثاني دراسة اللغة كوسيلة للتعبير والتواصل، لكن عكس ما ذهب إليه ابن جني نجد اللغويين المحدثين أضافوا وظيفة أخرى وهي التوصيل أو الاتصال أو التواصل، والسؤال الذي نطرحه هنا هو ما مدى التوافق ما بين الوظيفتين التعبير، والتواصل؟ لا شك أن التعبير هو الوظيفة الأساسية للغة، كما أن التواصل أداة لا غنى للفرد عنها وذلك لإيصال الأفكار من المتكلم إلى المخاطب. وفي هذا وذاك تبقى اللغة أهم وسيلة للتفاهم بين البشر، وسنعرض إلى كلا الوظيفتين بالتحليل والدراسة، لنخلص إلى أن أنّ النموذج اللغوي يكمن في علاقته مع الثقافة الشاملة للمجتمعات، المتجلية في العادات والأعراف والتقاليد ونمط الحياة، ويعد الحامل المادي للنمط الثقافي لجماعة بشرية معينة، مما يجعل تقطيع المفاهيم وتوزيعها في ثقافة من الثقافات يختلف باختلاف اللغات"، وبذلك فإن اللغة هي الأساس المهم في صناعة الحضارات ونقلها عب العصور، والبيئات المختلفة.

الكلمات المفتاحية
الاتصال، التواصل، التعبير، التوصيل، النمط الثقافي.

مقدمة

تعرف اللغة على أنّها ظاهرة اجتماعية غير مادية، ووسيلة اتصال بين البشر تقوم على مجموعة من الجزئيات تنتظم وفق شبكة معقدة من العلاقات ضمن سياق محدد، وأقل وحداتها هي الأصوات التي تنتظم لتشكل الكلمات والألفاظ التي بدورها تكوّن الجمل، بالإضافة إلى ذلك فإنَّ اللغة تعدّ ظاهرة إنسانية يحقق بها الإنسان وجوده؛ إذ خصه الله سبحانه وتعالى بها ليميّز بينه وبين الحيوان، وهي نظام من الإشارات لفتت انتباه اللغويين

منذ الأزل، فهي وعاء كبير يحوي هذا المجتمع وثقافته، ومرآة لكل ما يميز هذا المجتمع من نشاط، وفي ذلك يقول فخر الدين الرازي: "السبب في وضع[1] الألفاظ أن الإنسان الواحد وحده لا يستقل بجميع حاجاته بل لابد من التعاون، ولا تعاون إلا بالتعارف ولا تعارف إلا بأسباب كحركات أو إشارات أو نقوش أو ألفاظ توضع بإزاء المقاصد"[2].

والمتأمل في هذا القول يعتبر-ببساطة- أن اللغة تشمل كل ما يفيد الاتصال بين البشر من حركة وإشارة ونقش ولفظ، مع إعطاء الأهمية والصدارة للفظ لما يمتاز به من ميزة صوتية سهلة الاستخدام.

وظيفة اللغة

إنّ الحياة الاجتماعية لا تتم إلا عن طريق العيش الجماعي والاشتراك في الحقوق والواجبات، وهذا لا يتم إلا بوسيلة التخاطب؛ وهي اللغة، والإنسان كفرد داخل مجتمعه له رغبة في التعبير عن رغباته والتواصل مع مجتمعه والتعايش معه؛ لأنّ "التواصل حينئذ دعامة من أهم الدعائم التي يقوم عليها النشاط الاجتماعي بين أفراد مجموعة بشرية معينة، فهو من الأسس اللازمة لوجود أي مجتمع، وتحقيق تجانسه وتماسكه تماسكا دقيقا يضمن تقدمه وتطوره"[3]. والشيء الذي يعيننا على فهم طبيعة اللغة وجوهرها حق الفهم، هو الدور الذي تقوم به في إيصال المفاهيم وتقريبها بين بني البشر ويكمن ذلك في عملية التواصل بينهم، فكما "أن كلا من النظم الاقتصادية والدينية والخلقية والعائلية والسياسية والقضائية تنظم ناحية من العلاقات الاجتماعية، كذلك النظم اللغوية تنظم ناحية هامة من هذه العلاقات، وهي الناحية المتصلة بالتفاهم بين الأفراد والتعبير عما يجول بالخواطر"[4].

لقد اتجهت دراسة اللغة من حيث هي واقع قائم بذاته اتجاهين اثنين؛ الأول دراسة اللغة كبنية من الوحدات الصوتية والصرفية والدلالية، وهي بذلك تنظيم قائم مستقل بنفسه. والثاني دراسة اللغة كوسيلة للتعبير والتواصل، فابن جني يحصر اللغة في عملية

[1]- (الوضع عبارة عن تخصيص الشيء بالشيء بحيث إذا أطلق الأول فهم منه الثاني) (المزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي، ج1 ص38)

[2]- المزهر، السيوطي، دار الفكر للطباعة والنشر، ج1 ص38.

[3]- دراسات في اللسانيات التطبيقية، أحمد حساني، ديوان المطبوعات الجامعية سنة 2000م، ص75.

[4]- علم اللغة، علي عبد الواحد وافي، دار النهضة مصر للطباعة والنشر ط6، ص25.

التعبير في قوله: "أما حدها فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"[5]؛ لأنّ الألفاظ التي ينطق بها الإنسان هي الوسيط الدقيق والشامل ويكاد يكون الوحيد الذي يمكن من التعبير عما يجول في نفسية الفرد المتكلم، لكن عكس ما ذهب إليه ابن جني نجد اللغويين المحدثين قد أضافوا إلى وظيفة التعبير وظيفة أخرى ثانية وهي التوصيل أو الاتصال أو التواصل، وتعتبر هذه الكلمة الغالبة في كتبهم، فالماركسيون يقصرون وظيفة اللغة على الاتصال، ومن ذلك قول لينين: "اللغة هي أهم وسيلة في الاتصال الإنساني"[6]، والسؤال الذي نطرحه هنا هو ما مدى التوافق ما بين الوظيفتين التعبير، والتواصل؟

لا شك أن التعبير هو الوظيفة الأساسية للغة، كما أن التواصل أداة لا غنى للفرد عنها وذلك لإيصال الأفكار من المتكلم إلى المخاطب. وفي هذا وذاك تبقى اللغة أهم وسيلة للتفاهم بين البشر، وسنعرض إلى كلا الوظيفتين بالتحليل والدراسة على النحو الآتي:

وظيفة التعبير

إنّ التعبير هو من وظائف اللغة الأساسية؛ لأن الإنسان إذ ينطق ببعض من الكلمات فإنما يفعل ذلك لكي يعبّر؛ أي لينقل العواطف والأحاسيس والأفكار من الداخل إلى الخارج؛ لأن الإنسان يطمح إلى ما ينفعه لقضاء حاجياته وتحقيق رغباته وبالتالي فهي، "تحقق –أي اللغة الإنسانية- النزعة النفعية عند الفرد المتكلم/المستمع؛ إذ تسمح له منذ نشأته بالتعبير عن حاجاته ورغباته الذاتية وما يريد الحصول عليه من الوسط الطبيعي والاجتماعي"[7]، أضف إلى ذلك أنَّ التعبير أمر لا يختص به الإنسان فقط؛ لأن الحيوانات تستطيع هي كذلك أن تعبر عن حاجاتها الضرورية بجملة من الأصوات والحركات، وأن تتفاهم فيما بينها ببعض من التصرفات المتمايزة من حيث الشدة والارتفاع والنغم، وتصدر عنها تلك الصرخات في ظروف معينة للإشارة إلى خطر داهم أو طعام جاهز أو رغبة جنسية عارمة.

إنّ الحياة الاجتماعية للأفراد تنتظم بواسطة تأديتهم لحقوقهم والالتزام بواجباتهم، وبالتالي تستمر حياتهم وفق ضوابط تسمح لهم بالتقدم أكثر، ويكون التعبير فطريا لدى الأشخاص ويتمثل في لغة العواطف والانفعالات والأحاسيس في شكلها الخام قبل أن تخترع

[5]- الخصائص، ابن جني، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة بيروت لبنان ط 2، ج1 ص33.

[6]- Lectures en linguistique, berezin, paris 1955 p8

[7]- دراسات في اللسانيات التطبيقية، أحمد حساني، ص73.

لها الحضارة ما شاءت من المصطلحات والتعابير، وقبل أن يصطنع لها المجتمع صيغ الجمل، ثم بعد ذلك يظهر "أثر الكلمة في توجيه سلوك الآخرين عن طريق الطلب أو الأمر أو النهي فتكتسب الكلمة القدرة على إحداث الفعل المنجز في الواقع"[8].

وبالإضافة إلى التعبير الفطري هناك التعبير الطبيعي الذي يتم بواسطة الصراخ والضحك والبكاء واحمرار الوجه، فالإنسان فرد من المجتمع يطمح إلى إقامة علاقات مع مجتمعه والتفاهم معهم والعيش في وسطهم، وهذا لا يتحقق إلا بالتفاعل الحقيقي للفرد وسط مجتمعه؛ لأنّ "الإنسان المستعمل لنظام لساني ما يشعر بأنه يتفاعل ثقافيا وحضاريا مع الأفراد المتكلمين بذلك اللسان"[9]، أضف إلى ذلك أن الشخص محتاج إلى التعرف أكثر على هذا العالم ومكنوناته وخفاياه، وأن يتفاعل معها، وهو بذلك محتاج إلى وسيلة تمكنه من ذلك ألا وهي اللغة، و"ما كان ذلك إلا لأن النزعة إلى الاستكشاف والرغبة في اكتساب المعرفة الجديدة هي التساؤل عن الجوانب المبهمة الغامضة في هذا الكون الذي يحيط بالإنسان"[10].

وتعتبر اللغة مجموعة من العلامات الدالة؛ لأنّ "اللفظة التي ينطق بها الإنسان هي الواسطة الشاملة الوحيدة للاتصال والتفاهم"[11]، وبالتالي فهي عبارة عن رموز يطلقها أو يستقبلها الفرد ويفككها في سبيل التواصل مع مجموعته التي يعيش معها، وهذا التعبير الذي مرده إلى الاتصال "لابد أن يتم بدوره بوسيلة وهي اللغة التي تشتمل على مجموعة من الأصوات والمفردات والكلمات والألفاظ والجمل والعبارات"[12]، فالألفاظ التي ينطق بها الإنسان هي الوسيط ليس الوحيد ولكن الشامل والواسع الذي يمكن عبره التعبير لتحقيق الاتصال والتفاهم.

الوظيفة التواصلية أو اللغة والتواصل:

[8]- المرجع نفسه، ص نفسها.

[9]- المرجع نفسه، ص74.

[10]- المرجع نفسه، ص76.

[11]- الأدب واللغة، المكتب العالمي بيروت لبنان، ص38.

[12]- أهمية الوسائل التعليمية، محمد وطاس، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، سنة 1986م، ص147.

إنّ التواصل هو التأثير المتبادل بين طرفي أو أطراف عملية التفاعل المواجهة، بحيث يجد الأفراد الفرصة المناسبة للتعبير عن أنفسهم بحرية، ويصنع التواصل المناخ النفسي والاجتماعي المناسب والملائم للمناقشات الجماعية التي يستخدمها الأفراد في أساليبهم للتعبير عن أنفسهم. وهي الوظيفة الأساسية التي تؤديها اللغة وذلك لتقريب المفاهيم بين المجموعات البشرية؛ إنّ "هذه الوظيفة تؤديها اللغة بوصفها مؤسسة إنسانية على الرغم من اختلاف بنيتها من مجتمع لغوي إلى آخر"[13]. والإنسان بطبعه كائن اجتماعي ميال إلى التواصل مع مجتمعه والتعايش معه ف "التواصل حينئذ دعامة من أهم الدعائم التي يقوم عليها النشاط الاجتماعي بين أفراد مجموعة بشرية معينة، فهو من الأسس اللازمة لوجود أي مجتمع، وتحقيق تجانسه وتماسكه تماسكا دقيقا يضمن تقدمه وتطوره"[14]. ولا تقتصر اللغة -في الواقع- على أداء عملية التواصل، ولكن يبقى التواصل المظهر الاستعمالي الأساسي للغة، ويقتضي التواصل اللغوي نقل الدلالات والمعاني بواسطة الإشارات الصوتية.

ارتباط اللغة بالمجتمع وعلاقاته الثقافية:

إنَّ أنواع الكلام وأساليب التخاطب بين أفراد المجتمعات ترتبط ارتباطا وثيقا مع العادات والتقاليد والأعراف، "فالمعطيات الاجتماعية المتنوعة تفرض على المتكلم سلوكا لغويا معينا، لأن المتكلم يرتبط بالمجتمع ارتباطا وثيقا"[15]، ولأن اللغة مرآة عاكسة للمجموعات البشرية في شؤونها الاجتماعية العامة، "فعقائد الأمة وتقاليدها وما تخضع له من مبادئ في نواحي السياسة والتشريع والقضاء والأخلاق والتربية وحياة الأسرة، وميلها إلى الحرب أو جنوحها إلى السلم، وما تعتنقه من نظم بصدد الموسيقى والنحت والرسم والتصوير والعمارة وسائر أنواع الفنون الجميلة، كل ذلك وما إليه يصبغ اللغة بصبغة خاصة في جميع مظاهرها، في الأصوات والمفردات والدلالة والقواعد والأساليب"[16].

كما انتقال العادات والتقاليد والقيم الاجتماعية لا يتم في فراغ من مجتمع إلى آخر، أي من سلف إلى خلف؛ بل هناك بعد تاريخي ومجال جغرافي في هذا الانتقال، وهذا ما يفسر

[13]- مباحث في اللسانيات، أحمد حساني، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون الجزائر1993م، ص110.

[14]- دراسات في اللسانيات التطبيقية، أحمد حساني، ص75.

[15]- مبادئ اللسانيات، أحمد محمد قدور، دار الفكر دمشق سوريا ط1996/01م، ص241.

[16]- علم اللغة، علي عبد الواحد وافي، ص237.

قيام الحضارات على أنقاذ حضارات أخرى. ولا يوجد مجتمع بلا ثقافة ولا ثقافة بدون مجتمع، ولا يتم هذا إلا بوسيلة التعبير وهي اللغة، وهنا يكمن الارتباط الوطيد بينها وبين المجتمع؛ لأنّه "توجد في كل مجتمع ثقافة أصلية تحدد ملامحه الأساسية"[17]، و"المجتمع بدوره يريد أن يخلد تراثه وأمجاده وحضارته عبر العصور والأجيال"[18]، وهذا لا يتم إلا في ظل اللغة، و"مهما توغلنا في الزمن فإنّ اللغة تبدو دائما ميراثا للحقبة السابقة أيا كانت"[19].

إن الإنسان يفكر عن طريق اللغة، ويعبِّر عن رغباته وطموحاته ويتجلى ذلك في عملية ممارسته للكلام، ولهذا فإن "اللغة التي هي آلة الفكر وخادمه، تتسع وتتسع حتى لا يمكن أن يحيط بها لسان واحد ولا عصر واحد"[20]. كما أنَّ الإنسان كائن اجتماعي ولغته ظاهرة اجتماعية، و"معروف أنه بمجرد ظهور الإنسان المميز على هذه الأرض، انطلق في سعي دائب لتحقيق هذا التبادل بالوسائل المختلفة التي تمليها عليه مطالب حياته، وحددها مستواه من الحضارة، فما الحروب والمعاهدات والصناعة والصراع على توسيع مناطق النفوذ أو زواج أو خطف أو أسر أو امتلاك إلا أنواع من التبادل الاجتماعي"[21].

وخلاصة القول فإنّ النموذج اللغوي يكمن في علاقته مع الثقافة الشاملة للمجتمعات، المتجلية في العادات والأعراف والتقاليد ونمط الحياة، و"من ههنا فإن النموذج اللغوي يعد الحامل المادي للنمط الثقافي لجماعة بشرية معينة، مما يجعل تقطيع المفاهيم وتوزيعها في ثقافة من الثقافات يختلف باختلاف اللغات"[22]، وبذلك فإن اللغة هي الأساس المهم في صناعة الحضارات ونقلها من عصر إلى عصر، ومن بيئة إلى بيئة.

قائمة المصادر والمراجع

[1] أهمية الوسائل التعليمية، محمد وطاس، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، سنة 1986م.

[17]- اللغة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية الجزائر، سنة2002، العدد 06، ص18.

[18]- أهمية الوسائل التعليمية، محمد وطاس، ص19.

[19]- محاضرات في الألسنية العامة، فردينان دي سوسير، ترجمة يوسف غازي، مجيد النصر، المؤسسة الجزائرية للطباعة 1986م، ص93.

[20]- كلام العرب، حسن ظاظا، دار النهضة العربية بيروت لبنان، سنة 1976م، ص118.

[21]- المرجع نفسه، ص57.

[22]- دراسات في اللسانيات التطبيقية، أحمد حساني، ص32.

[2] الخصائص، ابن جني، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة بيروت لبنان ط 2.

[3] دراسات في اللسانيات التطبيقية، أحمد حساني، ديوان المطبوعات الجامعية سنة 2000م.

[4] علم اللغة، علي عبد الواحد وافي، دار النهضة مصر للطباعة والنشر ط6.

[5] كلام العرب، حسن ظاظا، دار النهضة العربية بيروت لبنان، سنة 1976م.

[6] اللغة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية الجزائر، سنة2002، العدد 06.

[7] مباحث في اللسانيات، أحمد حساني، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون الجزائر[23]1993م.

[8] مبادئ اللسانيات، أحمد محمد قدور، دار الفكر دمشق سوريا ط1996/01م.

[9] محاضرات في الألسنية العامة، فردينان دي سوسير، ترجمة يوسف غازي، مجيد النصر، المؤسسة الجزائرية للطباعة 1986م.

[10] المزهر، السيوطي، دار الفكر للطباعة والنشر، ج1 ص38.